الحكاية التي لم تُحكى بعد ...

الحكاية التي لم تُحك بعد ...

اليرموك (علي الخربوش ومفلح السالم) : وحارة الفدائية بقلم علي بدوان

الدمار المُذهل أصاب منذ البداية، جادتي على الخربوش ومفلح السالم وبتفرعاتهما، في الحارة الممتدة من مدخل اليرموك وحتى ساحة الريجة، والمعروفة بمعظمها تحت مسمى (حارة الفدائية). وإن كان الدمار قد اصاب شارع او جادة مفلح السالم بشكلٍ لايوصف.

تلك المنطقة، هي اللبنة الأولى من لبنات ومداميك مخيم اليرموك منذ صيف العام 1954، عندما قام مخيم اليرموك، ليصبح بعد حين قلعة من قلاع المقاومة الفلسطينية في الشتات، عاصمة الدياسبورا واللجوء الفلسطيني، أول الرصاص واول الشهداء في مسيرة الجلجلة الفلسطينية على دروب العودة لفلسطين.

كانت والدتي، واحدة من عامة المواطنين الفلسطينيين التي استلمت قطعة الأرض المخصصة لنا والمقدمة من الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب بواقع نمرتين. فكانت أول سيدة فلسطينية تستلم قطعة الأرض في مخيم اليرموك صيف العام 1954، ليُشَاُد فوقها منزلنا اليرموكي، الذي رأت عيناي نور الحياة ومولدي في غرفة متواضعة.

تلك الحارة (شارعي علي الخربوش ومفلح السالم)، وقد دُعيت باسمها المعروف، لأن القوافل من الشهداء الأولى بدأت منها، ولأن أول شهيدين في مثوى شهداء فلسطين في اليرموك كانا من تلك الحارة من مرتبات الكتيبة الفدائية الفلسطينية في الجيش العربي السوري (الكتيبة 68) : الشهيد مفلح السالم، والشهيد علي الخربوش. اللذان استشهدا في الجليل شمال فلسطين المحتلة، وتبع ذلك القوافل المُتتالية من الشهداء. ولاننسى خيرة الناس من تلك سكان تلك المنطقة (شارعي علي الخربوش ومفلح السالم)، نخبة من المثقفين والفعاليات، ومنهم المترجم والمثقف الكاتب المرحوم صالح علماني (ملك اللغة الإسبانية)، واخونا ابو امجد عباس، المدرس في وكالة اونروا والنشيط في صفوف حركة فتح تاريخياً، والدكتور عمر ابو عون رئيس ومنسق تطوير مناهج المواد العلمية بوزارة التربية منذ سنوات طويلة، وملك الرياضيات المرحوم محمد صلاح العايدي، والكاتب والمثقف خليل صمادي .... الخ.

الدمار الشامل عمَّ الحارة، في مشهد مأساوي لم يشفع لتلك الحارة ومواطنيها السوريين والفلسطينيين على حدٍ سواء انهم كانوا من بدأ مشوار إعمار اليرموك، ومن ساهموا في مسيرة الثورة الفلسطينية المعاصرة منذ بواكيرها الأولى. ومن يتابع الصور المتكررة للمشاهد المأساوية في اليرموك، يلحظ بأن الصور والقسط الوافر منها، جاء من تلك الحارة وبالأخص منها (شارع مفلح السالم)، بما فيها الصورة الكبرى التي نشرتها وكالة الأونروا في عدة ساحات كبرى من مدن العالم قبل عامٍ

تقريباً، وقد ظهرت خلالها الحشود البشرية للناس في اليرموك، وبناية أسرتنا المدمرة.

إن عائلات تلك الحارة من بدايات شارع اليرموك وحتى ساحة الريجة من اللاجئين الفلسطينيين، تنتمي لمناطق مختلفة من فلسطين، وهي العائلات التالية : أبو حسان (طيرة حيفا)، حجير (طيرة حيفا)، ملحم (صفورية الناصرة)، الحناوي (عكا)، عباس (كفر كنّا الناصرة)، شحرور (علما صفد)، ياسين (صفورية الناصرة)، قادرية (شفاعمرو حيفا)، علماني (ترشيحا قضاء عكا). حيفاوي (صفد). حميد (دلاتا قضاء صفد). خطاب (عين الزيتون قضاء صفد). الكبرا (صفد)، القزة (صفد)، القاضي (صفد)، غنيم (صفد)، بحطيطي (الناصرة)، العاشق (عكا)، مولانا (عكا)، مرعي (عكا)، الحلبي (عكا)، ديبة (عكا)، حبيشي (أبو سنان عكا)، نجم ومحمد (صفورية الناصرة)، شنّار (حيفا)، الحاج (حيفا)، بدوان (حيفا)، رحمه وباكير (طبريا)، سمور (طبريا)، العاصي (لوبية طبريا)، أبوراشد (طيرة حيفا)، يعقوب (طيرة حيفا)، الدسوقي (الطنطورة حيفا)، أبو جاموس (الطنطورة حيفا)، الخربوش (عرابة البطوف)، قنديل (الطنطورة حيفا)، الشرقاوي (عكا)، أبو عون (لوبية طبريا)، جودة وصمادي وخليل (لوبية طبريا)، الحسين (عين غزال حيفا)، الفوط (ترشيحا عكا)، أبو حميدة (ترشيحا عكا)، شناعة (نمرين طبريا)، رستم (صفد)، عزام (كفر مندا الناصرة)، العايدي وكيلاني (لوبية طبريا)، عنبتاوي (عنبتا طولكرم)، عبد الله (الصرفند حيفا)، تيّم (الشجرة طبريا)، كلش (عين غزال حيفا)، سليمان (صفورية الناصرة)، الأسود (حيفا)، الهندي والشلن (الطنطورة حيفا)، بياعه (عكا)، الناجي (طيرة حيفا)، اللداوي (اللد)، جمعة (صفد)، باكير (طبريا)، محسن (لوبية طبريا)، بيكو (عكا)، إدريس (طيرة حيفا)، عصفور (عين غزال قضاء حيفا)، السيد (الجاعونة قضاء صفد)، السباعي (ترشيحا عكا)، شفاعمري (طبريا)، فارس (الشجرة طبريا)، حجو (لوبية طبريا)، شقره (صفد)، حمد (الصفصاف صفد)، سلِيم (عزون نابلس)، دبش شركسي (كفركما طبريا)، أبو خميس (المجيدل الناصرة)، حماده (حيفا)، علوش (يافا)، سردار (يافا)، أبو زيتون (حيفا) ...الطايش (عكا)....الخ...

والعائلات السورية في تلك الحارة، واغلبها دمشقية من حي الميدان، منها عائلات : الشامي، برزاوي، السيوفي، العقّاد، سميحة، نعوم، الحاج علي، جمعة، الكّل، الحكيم، البسطاطي، حوارنه، المصري، صلاحي، الفحل، السكلاوي، العمري، موسى، اللبني، الأكتع ...الخ...